Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphane
İslâm Araştırmaları Merkezi

السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ وَعُلُومُهَا

دراسة تحليلية للسنة النبوية وعلومها فى أعظم عصور التدوين
ودفاع عن السنة ورد لشبهات المستشرقين وأعداء الاسلام

دكتور أحمد عمر هاشم
عميد كلية أصول الدين
جامعة الأزهر
(بالزقازيق)

الناشر
مكتبة غريب
٣٨١ شارع كامل صدقى (الفجالة)
تليفون : ٩٠٢١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد

فإن للسنة النبوية المطهرة مكانتها فى الاسلام ، ومنزلتها الهامة فى الدين فهى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم .

بل إنها تستقل بالتشريع فى بعض الأحكام، على رأى البعض ولذا عُنى العلماء بالسنة النبوية وتدوينها وتصنيفها وشرحها سلفا وخلفا ، كما عنوا بعلومها ومناهجها ، وقواعدها ، والدفاع عنها ضد مطاعن أعدائها قديما وحديثا ، ورد ما أثاره المستشرقون من شبهات وأباطيل .

وفى كل جيل من الأجيال ، وفى كل زمان يظهر هذا النوع من أهل الباطل ممن فى قلبه زيغ ، أو ممن أصيب بالغرور العقلى ، فراح يحكم عقله فى بعض الأحاديث الصحيحة ، ويزعم أنها لا تتمشى مع العقل جاهلا ، أو متجاهلا ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى !!

وبعض هؤلاء يرى فى نفسه كأنه أعلم من البخارى ومسلم ، وأن كِتَابَيْهما اشتملا على الأحاديث الضعيفة ، وخطورة هذا الفكر البشرى الجديد أنه يفتح الباب للطعن فى أصح كتب الحديث التى تلقتها الأمة بالقبول ، وبالتالى يمهد للطعن فى السنة كلها !!

لذا تجىء هذه الطبّعة الثانية من كتابنا : « السنة النبوية وعلومها » لتحمل الرد على هؤلاء وغيرهم ، مشتملة على بعض التنقيحات .

أسأل الله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله على صاحب السنة المطهرة سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ؟

المؤلف

أ د. أحمد عمر هاشم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

المقــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، صاحب السنة المطهرة ، المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعــد

فان للسنة النبوية الشريفة منزلتها فى الدين ، ومكانتها فى الاسلام فهى المصـدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكرْيم ، وهى حجة فى اثبات الأحكام .

ولقد وضح الله تعالى أن رسوله عليه الصلاة والسلام هو المبين لما أنزل من القرآن فقال تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » .

وأمر الله تعالى المؤمنين أن يعملوا بما جاءهم به الرسول ﷺ وأن ينتهوا عما نهاهم عنه « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ولما كان للسنة النبوية هذه المكانة ، وتلك الأهمية العظمى ، فقد وقف رجال السنة أنفسهم على حمايتها وصيانة اعظم تراث فى الوجود ، وكان جهادهم كجهاد الرابضين على خطوط الدفاع الأمامية ، يصونون الثغور ، وينـافحون عن الـوطن ، بل ان المحـدثين بجهادهم فى سبيل عقيدتهم ، ودفاعهم عنها كانوا اعظم أثرا وتأثيرا ، بما بذلوه من جهود تذكر فتشكر .

هذا والأمة الاسلامية اليوم بحاجة الى إبراز الجوانب الاسلامية الجديرة بالبحث والتحليل ، لتتلاقى مع التوسع فى شتى المجالات الاجتماعية والتـربويـة والاقتصاديـة وغيرها .

وفى هذا الكتاب ، دراسة تحليلية للسنة النبوية وعلومها فى أعظم وأزهى عصور التدوين ، وهو القرن الثالث الهجرى الذى أطلق عليه العلماء أنه العصر الذهبى لتدوين الحديث ، حيث أشرقت فيه كتب السنة وعلى رأسها مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وأشرقت الكتب الستة التى لم تدع من صحيح الحديث سوى النزر اليسير ، وهى صحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وسنن ابن ماجه . . . وغير ذلك من المدونات الحديثية .

وفى هذا العصر الموصول بسابقه ولاحقه تم استقلال الحديث عن غيره من أقوال الصحابة والتابعين ، وقامت نهضة علمية شاملة تجاوبت أصداؤها فى مشارق الأرض ومغاربها .

وفى هذا الكتاب عرض لجهود أئمة الحديث النبوى فى تدوين السنة وحفاظهم عليها ، وابتكارهم فى سبيل ذلك أعظم علم عرف فى تحقيق الأخبار وتوثيقها وهو علم مصطلح الحديث ، حيث وزنوا كل خبر جاءهم بأدق طرق النقد التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا ، ولم تظفر أمة من الأمم بما ظفرت به هذه الأمة من الاسناد الصحيح المتصل .

ولما كانت بعض الكتابات الحديثة المغرضة ، قد تناولت السنة النبوية ، وظهرت دعاوى رخيصة تدعو الى الاكتفاء بالقرآن كما صنع أعداء السنة قديما ، فقد رأيت أن أعرض لهذه الشبهات وأفندها وأرد عليها وأوضح جهود أئمة الحديث فى مقاومة الوضاعين واعداء السنة ، وكيف ان المحدثين نهضوا بتدوين السنة ، وحصروا الرجال الثقات ، بل ان بعضهم قام بحصر الرجال الضعفاء والأحاديث الضعيفة والموضوعة ليعرفها المسلمون ويحذروها ، ونتج عن تدوين السنة تسهيل مهمة الفقه الاسلامى ، فبعد أن كان الفقيه يبحث عن الحديث الصحيح ليستنبط منه الحكم أو يعرف به تفسير الآية من القرآن ، أو ليستدل به على مسألة من المسائل ، أصبح يجده دون عناء مدونا فى تلك الكتب .

كما عرضت لمناهج أئمة الحديث ووازنت بينها ، وترجمت لحياة أصحابها ، أولئك الأبرار الذين نذروا حياتهم لخدمة سنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام .

والله اسأل أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يغفر لى ولوالدى ولسائر المسلمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الدكتور أحمد عمر هاشم

تمهيـــد

الحمد لله الذى انزل القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وأعد فيه لكل شىء موعظة وتبيانا ، وجعل السنة النبوية له شرحا وبيانا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلوات الله وسلامه عليه الى الناس كافة بشيرا ونذيرا ، وجعل رسالته عامة فى الزمان وفى المكان وخاتمة لجميع الرسالات ، قال تعالى : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السماوات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون »(١) .

وضمانا لعموم الرسالة وخلودها أنزل الله تعالى دستوره السماوى ، ليحقق العدل الإلهى فى الحياة ، وليكون هدى للمتقين ، حاملا أسس الرسالة العامة الخالدة وأسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ، وقد تكفل الله تعالى بحفظه ، قال تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(٢) . وأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ان يتبع ما انزل اليه ، وعصمه من الناس ، قال تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين »(٣) . كما عصمه أيضا من الخطأ والهوى « وما ينطق عن الهوى * ان هو الا وحى يوحى * علمه شديد القوى »(٤) ، وذلك ليقوم بمهمته الشريفة ويبلغ رسالة ربه ويبين للناس ما نزل اليهم ، فان عقول الناس لا يمكنها فهم جميع ما ورد فى القرآن الكريم ، وانما هم فى حاجة الى توضيح المبهم ، وتفصيل المجمل وتقييد المطلق وتخصيص العام ، وهذا هو البيان المقصود بقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون »(٥)

---

(١) سورة الاعراف آية « ١٨٥ » .
(٢) سورة الحجر آية « ٩ » .
(٣) سورة المائدة آية « ٦٧ » .
(٤) سورة النجم الآيات « ٣ - ٥ » .
(٥) سورة النحل آية « ٤٤ » .

وقوله تعالى « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »[٦] . ولذا كانت السنة النبوية تمثل المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم .

ولما كانت السنة النبوية مبينة للقرآن الكريم ، وحجة فى اثبات الاحكام ومصدرا ثانيا فى التشريع فقد وضحت منزلتها الجليلة فى الدين ، وكانت من الأهمية بمكان بحيث يجدر بالباحثين أن يتناولوها بالدراسة والبحث .

وقد تناول كثير من الكتاب دراسة السنة قبل التدوين ، ومكانتها فى التشريع ، أو دراسة شخصية من أعلام المحدثين ، أو التأريخ للسنة فى جميع أدوارها . أما دراسة السنة فى القرن الثالث الهجرى افرادا بالتأليف ، فلم يحظ هذا الطور ببحثه متكاملا على حدة ، وإضافة الى ذلك فقد برزت لدىَّ بعض اسباب لاختيار هذا الموضوع :

أولا : دعت الحال فى القرن الثالث الهجرى الى ضرورة عمل جديد فى التدوين يهدف الى خدمة السنة وتخليصها مما اختلط بها ، وتمييز صحيح الحديث من سقيمه وتيسير الافادة منه .

ثانيا : كان القرن الثالث أزهى القرون بتدوين السنة حيث لقيت فيه عناية كبرى فى الرواية والدراية ومناهج التصنيف وفهم النصوص ، وقام فيه أول عمل للتدوين يهدف الى جمع أحاديث الاقطار المختلفة ، وتمثل ذلك أولا فى مسند الامام أحمد بن حنبل الذى يعتبر أول جامع لاحاديث الامصار ثم أشرقت بعده الكتب الستة التى لم تدع من صحيح الحديث سوى النزر اليسير .

ثالثا : وبتتبعى لمناهج المحدثين فى هذا القرن وجدتها وكأنها سلسلة متصلة الحلقات كل منهج يسلم لما بعده ، فمنهج أصحاب المسانيد يقوم على تدوين الأحاديث التى رواها كل صحابى على حدة وتجريدها من أقوال الصحابة والتابعين ، الا أنهم لم يميزوا الصحيح من غيره فجاء بعدهم البخارى ومسلم فتم افراد الصحيح بالتدوين ثم قام بجوار ذلك منهج آخر تم فيه جمع بعض الاحاديث التى قد يوهم ظاهرها التناقض ووفقوا بينها ودافعوا عنها كما هو الحال فى كتاب « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ، ثم تفرع عن هذه المناهج طرق اخرى كانت بمثابة جداول متدفقة بجوار هذه البحور . وأصبحت هذه

---

(٦) سورة النحل آية « ٦٤ » .

المناهج متحدة الهدف فى صيانة الشريعة الاسلامية ونشرها ، ومجتمعة فى ظاهرة حرص جميع المصنفين برغم اختلاف مناهجهم عليها وهى أن يدونوا الأحاديث باسانيدها الصحيحة المتصلة الى رسول الله ﷺ ، وساعدهم ذلك على التمييز بين الصحيح وغيره ، وبذلوا فى سبيل الاسناد الصحيح المتصل جهودا لا مثيل لها ، ولذا قيل : ان الاسناد من خصائص هذه الأمة .

وقد تناولت فى هذا الكتاب تدوين السنة فى القرن الثالث الهجرى ، وليس هدفنا من دراسة السنة فى هذا القرن أو دراسة مناهج تدوينها فيه ، الاشادة بماضينا المزدهر ، وتراثنا الخالد فحسب ، وانما هدفنا الدفاع عن السنة ضد المطاعن التى أثيرت حولها فى القديم والحديث ، وتوضيح مناهج التدوين مع الموازنة بينها ، وبيان أثرها فى العصور المتأخرة . أما عن رجال السنة الامناء المتقنين فقد بينت نشأتهم ، وحياتهم العلمية ، وابرزت وسائل التكوين العلمى بالنسبة لهم ، عن طريق الشيوخ الذين اخذوا منهم ورووا عنهم ، وعن طريق ما قاموا به من رحلات علمية استهدفوا بها التبحر فى العلم ، والزيادة منه ، فكان لهذه الرحلات اثرها فى معرفة علماء كل مصر بما وصل اليه سائر الامصار .

كما بينت ما كان لهم آنئذ من وسائل النشر العلمى المتمثلة فى التدوين وتكوين التلاميذ الذى يعتبر من الأعمال العلمية الهامة ، هذا بجانب تأليف المصنفات ، والكتب الخالدة التى دونوا فيها السنة النبوية ، أما ما اتصفوا به من صفات الذكاء والحفظ والاتقان والسماحة والكرم والعزة والزهد ، وما الى ذلك من الصفات الظاهرة فقد وضحت منها ما تدعو اليه الحاجة فى بيان جهودهم وإدراك جمال الباطن ونقائه واتصالهم بالله ، فلم يكونوا على جانب هذه المكارم الا بشدة اتصالهم بالله ، حتى جمعوا بين العلم والعمل .

وهكذا وقف رجال السنة أنفسهم على حماية الشريعة الاسلامية وصيانتها وتبليغها فكان جهادهم كجهاد الرابضين على خطوط الدفاع الأمامية يصونون الثغور وينافحون عن الوطن ، بل ان المحدثين بجهادهم فى سبيل العقيدة ودفاعهم عنها كانوا أروع أثرا وأعظم . ومن ناحية اخرى : فقد كانوا امتدادا لرحمة الله تعالى التى تداركت هذه الأمة ، وتمثلت اولا فى الرسول ﷺ المبعوث رحمة للعالمين ثم تمثلت من بعده فى ورثة تراثه من رجال السنة الابرار .

هذا ونحن فى مرحلة حاسمة من مراحل البناء والتكوين بحاجة الى ابراز الجوانب الاسلامية الجديرة بالبحث والتحليل ، لتتلاقى مع التوسع المدنى فى السياسة والتربية والاجتماع لهذا كله اقدمت على هذا البحث بروح الغيور على دينه المحب لسنة نبيه ﷺ .